ـ سوف تحملين قربة الماء على ظهرك .

فتقول : لا مانع عندي من ذلك .

فيقول لها : وتحملين الفأس للتحطيب .

فتجيب : افعل كما تفعل بنات البدو .

ويقول : وتخبزين على الصاج وتحلبين النعاج .. الخ وتلك هي نماذج مما تقوم به المرأة الفلسطينية في بادية فلسطين ومعظم قرى الجنوب الفلسطيني .

ويطول بنا الاستشهاد بهذه الانماط من الحكايات ، وهي جميعها تحدد كما لاحظنا الارض الفلسطينية كموقع مكاني لاحداثها على خارطة العالم العربي ، وهو موقع يتوسط الشام ومصر ويتنقل الابطال عبره بين هذين القطرين ، وينتمي اغلبهم الى فلسطين رغم ان بعضهم ينتمي الى الشام (المرأة في حكاية مصير الجاني والزوجة في حكاية بنت تايه الراي) ، وبعضهم ينتمي الى مصر كما جاء في حكاية « عايق الشام وعايق مصر » وبطلا هذه الحكاية رجلان احدهما مصري والثاني شامي يلتقيان في فلسطين ، وباستثناء « حكاية منصور » كان ترحال ابطال الحكايات يتم بين الشام ومصر عبر فلسطين ، الا ان هناك نمطا من الحكايات يجعل من فلسطين المكان الرئيسي لحركة الابطال بالاضافة الى التأكيد السابق على عراقة التواصل الجغرافي بين الاقطار الثلاثة الشام وفلسطين ومصر . ومن ذلك على سبيل المثال الحكاية التي تدعى « ثأر الاخت »(٧) ففيها نرى العائلة تنتقل داخل فلسطين من مكان الى آخر « وفي مضارب ثانية وثالثة الى السادسة ، فقيل لهم : لم يبق الا عربان زي ما تقول ناحية فلسطين ، ناحية حيفا ، ناحية يافا . . الخ » .

وفي حكاية أخرى حملت اسم « المال في النهر »(٨) نجد بداية الحكاية على النحو التالي : « كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان رجلان ، كان واحد ساكنا في الشام والثاني ساكن في فلسطين » واثناء زيارة الاول للثاني ترد هذه الفقرة في وصف اماكن التحرك « عندما اصبح الصبح ، مشى ابو سعيد حتى انه قرب يوصل فلسطين ، وصل عند « الشريعة » وعندما أراد ان يقطع الشريعة زلقت فرسه » .

وفي حكاية تدعى « حكاية عيشه وام عيشه »(٩) ترد على لسان الراوي هذه الفقرة في بداية الحكاية « كان هناك رجل زوج ابنته غريبة ، زي ما تقول من ساريس لخلده ـ ومن المعروف ان ساريس هي احدى قرى قضاء القدس وخلده هي احدى قرى قضاء الرملة ـ وهذه الحكاية كما هو واضح تحدد أسمي قريتين فلسطينيتين كما سبق ان حددت حكاية ثأر الاخت اسمي مدينتين فلسطينيتين ـ حيفا ويافا .

وقبل أن أتجاوز هذا النمط من الحكايات ـ الترحال داخل فلسطين وذكر أسماء المدن والقرى والمواقع ـ أريد أن انوه بحقيقة كون معظم حكايات الترحال تنتمي الى أصول بدوية فلسطينية يؤكد ذلك « حكاية منصور » وحكاية « ثأر الاخت » . الا أنني وجدت مع ذلك ان هناك حكاية قدمت لنا نمطا من ترحال الفلاح / المزارع وهو الذي يفترض فيه أن يكون ملتصقا بالارض لا مرتحلا عنها ، وحتى تبرر الحكاية مسألة ترحال هذا الفلاح ربطت ذلك بمعتقد خرافي زواج بين الحظ والنحس وايراق الشجر وجفافه ، ففي الحكاية التي سميت « تزوجت ابنها »(١٠) والتي بنيت فيما يبدو على معتقد خرافي مهاجر(١١) ـ المعتقد الذي قامت عليه مسرحية أوديب ـ نجد بطل الحكاية ، بعد أن فقد أولاده ينتقل داخل فلسطين ليعمل بستانيا ، « اشتغل اول السنة في بلدة مثل القدس وفي وقت الربيع اورقت كل الاشجار الا شجرته لم تدر فيها الحياة ولم يخضر